

## الولاية والولي في الدين الإسلامي

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي

الكلمات المفتاحية: عاصم الكيالي، الولاية والولي، الفناء، الكرامات.

### تعريف الولاية والولي

عرّف الملا عبد الرحمن الجامي الولاية والولي تعريفًا جامعًا لمراتب الدين الكامل؛ الشريعة، والطريقة، والحقيقة، فقال:

الولي مشتق من الولاء، بمعنى القرب. والولاية على نوعين: ولاية عامة وولاية خاصة.

فالولاية العامة: مشتركة بين جميع المؤمنين، قال الله تعالى: (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور)<sup>(12)</sup>.

والولاية الخاصة: للخواص، وهي مخصوصة بالواصلين من أرباب السلوك، وهي عبارة عن فناء العبد في الحق وبقائه به، فالولي هو الفاني، والباقي به.

فالفناء عبارة عن نهاية السير إلى الله تعالى، والبقاء عبارة عن بداية السير في الله تعالى؛ لأن السير إلى الله تعالى لا ينتهي إلا بعد قطع بادية الوجود بقدّم الصدق، والسير في الله تعالى لا يكون إلا بعد التحقق بالفناء المطلق، فيعطيه الله وجودًا موهوبًا، وذاتًا مطهرةً من لوث الحدثان، فيها يتصف بأوصاف الله، ويتخلق بأخلاق الله تعالى.

قال أبو علي الجوزجاني رحمة الله عليه: "الوليُّ هو الفاني عن حاله، الباقي في مشاهدة الحق، لم يمكن له عن نفسه إخبار، ولا مع غير الله قرار"<sup>(13)</sup>.

وقال إبراهيم بن أدهم لرجل: أتريد أن تكون وليًّا من أولياء الله تعالى؟ قال: نعم. فقال: "لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة، وفرِّغ نفسك لله تعالى وأقبل بوجهك عليه، فإذا اتَّصفت بهذه الصفة صرتَ وليًّا"<sup>(14)</sup>.

وفي الرسالة القشيرية: " أن الولي له معنيان:

(12) - سورة البقرة، آية 257.

(13) - الجوزجاني، أبو علي،

(14) - إبراهيم بن أدهم،

أحدهما: فعيل بمعنى مفعول، وهو من يتولى الله سبحانه أمره، قال الله تعالى: ( إِنَّ وِلِّيَّ اللَّهِ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ )<sup>(15)</sup>، فلا يكله إلى نفسه لحظة، بل يتولى الحق سبحانه رعايته.

والثاني: فعيل مبالغة من الفاعل وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان.

وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي وليًا يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء ودوام حفظ الله إياه في السراء والضراء. ومن شرط الولي أن يكون محفوظًا كما أن من شرط النبي أن يكون معصومًا، فكل من كان للمشرع عليه اعتراض فهو مغرور ومخادع.

قصد أبو يزيد البسطامي، (قدس الله سره)، بعض من وُصِفَ بالولاية، فلما وافى مسجده قعد ينتظر خروجه، فخرج الرجل ورمى ببزاقه تجاه القبلة، فانصرف أبو يزيد، ولم يسلم عليه، وقال: هذا الرجل غير مأمونٍ على أدبٍ من آداب الشريعة، فكيف يكون أمينًا على أسرار الحق؟!<sup>(16)</sup>.

وقيل: جاء رجل إلى أبي سعيد بن أبي الخير، (قدس الله سره)، فقدم رجله اليسرى في دخوله المسجد، فقال الشيخ: ارجع، من لم يعرف آداب دخول بيت الله لا ينبغي مصاحبته<sup>(17)</sup>.

#### أ- تعريف علماء الشريعة:

وقال الشيخ البيجوري في شرحه على متن جوهرة التوحيد للإمام اللقاني معرفًا الولي بلسان الشريعة: "الولي هو العارف بالله تعالى وصفاته حسب الإمكان المواظب على الطاعة المحتنب للمعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات المباحة، أما أصل التناول فلا مانع منه، لا سيما إذا كان بقصد التقوى على العبادة، وهو لا يرتكب معصيةً دون توبة، إذ ليس معصومًا حتى لا تقع منه معصية بالكلية. وإنما سمي وليًا؛ لأن الله تعالى تولى أمره فلا يكله إلى نفسه ولا إلى غيره لحظة، ولأنه يتولى عبادة الله على الدوام من غير تخللٍ بمعصية، وكلا المعنيين واجبٌ تحققه حتى يكون الولي عندنا وليًا في نفس الأمر. قال الرازي: (الولي من توالى طاعته من غير تخلل معصية، أو هو الذي يتولى الحق سبحانه حفظه وحراسته على التوالي عن كل أنواع المعاصي، ويدم توفيقه على الطاعات. والاسم مأخوذٌ من مثل قوله تعالى: (الله ولي الذين آمنوا)<sup>(18)</sup>، وقوله: (وهو يتولى الصالحين)<sup>(19)</sup>،

(15) - سورة الأعراف، آية 196.

(16) -

(17) - نفحات الأنس، ج1، ص 10-11.

(18) - سورة البقرة، آية 257.

(19) - سورة الأعراف، آية 196.

وقوله: (إنما وليكم الله ورسوله) <sup>(20)</sup>؛ فالولي هو القريب، فإذا كان العبد قريبًا من حضرة الله بسبب كثرة طاعاته وشدة إخلاصه، وكان الرب قريبًا منه برحمته وفضله وإحسانه فهناك حصلت الولاية) <sup>(21)</sup>.

#### ب- تعريف علماء الطريقة:

وقال الشيخ إسماعيل حقي البروسوي في تفسير روح البيان معرفًا الولي بلسان الطريقة: "أولياء الله هم أحبباء الله وأعداء نفوسهم، فإن الولاية هي معرفة الله، ومعرفة نفوسهم؛ فمعرفة الله رؤيته بنظر المحبة ومعرفة النفس رؤيتها بنظر العداوة... قال المولى أبو السعود رحمه الله: الولي لغةً هو القريب، والمراد بأولياء الله خلص المؤمنين؛ لقرهم الروحاني منه سبحانه انتهى؛ لأنهم يتولونه سبحانه بالطاعة؛ أي يتقربون إليه بطاعته والاستغراق في معرفته، بحيث إذا رأوا، رأوا دلائل قدرته، وإن سمعوا، سمعوا آياته، وإن نطقوا، نطقوا بالثناء عليه، وإن تحركوا، تحركوا في خدمته، وإن اجتهدوا، اجتهدوا في طاعته" <sup>(22)</sup>.

#### ج- تعريف علماء الحقيقة:

وقال الشيخ عبد الكريم الجيلي في كتاب الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية، معرفًا الولي بلسان الحقيقة عند شرحه لاسم الله الولي: "الولي: هو المتولي أمر الوجود بذاته، المتجلي في ذلك بأسمائه و صفاته، فكل ما عليه الكون... فالله متولي أمر ذلك و جميعه راجع إليه صورةً ومعنى، وجودًا وحكمًا. و هذا الاسم يستحقه الإنسان الكامل إذا كان الإنسان متوليًا لله بذاته و صفاته لذاته و لصفاته، وكان التولي الإلهي للعالم الكوني راجعًا إليه كما هو راجعٌ إلى الله فيكون الولي هو ( مرآة ) الله تعالى... فالله ولي العالم والإنسان الكامل ولي الله" <sup>(23)</sup>.

وقال أيضًا بلسان الإشارة في كتابه الإنسان الكامل: "قال الله تعالى: [والله هو الولي] <sup>(24)</sup>؛ يعني الإنسان الكامل من حيث استخلافه على الكمال الذي قال فيه: (ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون) <sup>(25)</sup>؛ لأنه يستحيل الخوف والحزن وأمثال ذلك على الله؛ لأن الله هو الولي الحميد؛ (وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) <sup>(26)</sup>؛ أي الولي، فهو حقٌ متصورٌ في صورةٍ خلقيةٍ أو خلقٌ متحققٌ بمعاني الإلهية، فعلى كل حالٍ وتقديرٍ وفي كل مقالٍ وتقديرٍ هو الجامع لوصفي النقص والكمال، والساطع في أرض كونه بشمس المتعال <sup>(27)</sup>.

(20) - سورة المائدة، آية 55.

(21) - شرح جوهرة التوحيد، المجلد الثاني، طبعة دار البشائر، دمشق، ص 931-932.

(22) - تفسير روح البيان، الجزء الرابع، طبعة دار الفكر، ص 58.

(23) - م.س. ص 71.

(24) - سورة الشورى، آية 9.

(25) - سورة يونس، آية 62.

(26) - سورة الشورى، آية 9.

(27) - الإنسان الكامل، ج1، ص 31.

وكخلاصة لما ذكرناه، نورد تعريفًا جامعًا للولاية في مراتبها الثلاث، الشريعة والطريقة والحقيقة، قال الشيخ أبو محمد روزبهان البقلي الشيرازي في كتابه مشرب الأرواح: "أول الطريق الإرادة ومعها المجاهدات، وأوسط الطريق المحبة ومعها الكرامات، وآخر الطريق المعرفة ومعها المشاهدات، فإذا تمكن في هذه المراتب ولا يجري عليه أحكام التلوين وصار سباحًا في بحار التوحيد وسر التفريد يكون وليًا نائبًا للأنبياء وصادقًا من الأصفياء. والولاية اسم جامع لجميع منازل الصديقين، من جمع فيها حقائقها كان أمة، قال الله تعالى: (إن إبراهيم كان أمةً قانتًا)<sup>(28)</sup>، وقال عليه السلام: "إن قس بن ساعدة كان أمة" ومدح خيار أتمته بالولاية والإلهام والمحادثة والكلام... وكمال الولاية التخلص من آفات النفس التي تورث الغم والحزن والبلوغ إلى مقام السلامة، قال الله تعالى: (ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون)<sup>(29)</sup>، وقال العارف رضي الله عنه: الولاية الإيتصاف بخلق الحق سبحانه<sup>(30)</sup>.

### ثبوت الولاية بالكتاب والسنة

قال الله تعالى: (ألا إن أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون\* الذين آمنوا وكانوا يتقون\* لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبدلُ لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم)<sup>(31)</sup>.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله قال من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه".

### قرب الفرائض وقرب النوافل

وقد استدلل أهل الله بهذا الحديث على نوعين من القرب أو الولاية الخاصة، بمن حقق الكمالات الإلهية المودعة فيه من القوة إلى الفعل: الأول قرب الفرائض الذي يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام: "وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه" والثاني قرب النوافل الذي يدل عليه قوله: "وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه". قال الشيخ مؤيد الدين الجندي شارحًا معنى هذين القربين: "وذلك أن وجود الحق هو الأصل الواجب - وهو الفرض - ووجود العالم - وهو العبد - نفلٌ وفرغٌ عليه؛ لأن الوجود الحق لكمال سعته وسع الحق

(28) - سورة النحل، آية 120.

(29) - سورة يونس، آية 62.

(30) - مشرب الأرواح، ص 93.

(31) - سورة يونس، آية 62-64.

المطلق والخلق المقيد، فإذا ظهر الحق خفي العبد فيه، كان الله ولا شيء معه أولاً (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار)<sup>(32)</sup> وآخرًا؛ فكان العبد سمع الحق وبصره وسائر قواه، كما قال (صلى الله عليه وسلم): "إن الله قال على لسان عبده: سمع الله لمن حمده". "هذه يد الله" واليد يد (محمد صلى الله عليه وسلم)، وكذلك هو الرامي حقيقة في (إذ رميت) فيده يد الحق، والحق هو الرامي؛ لنفيه الرمي عن محمد في قوله: (وما رميت إذ رميت) وإثباته الرمي للحق بقوله: (لكن الله رمى)<sup>(33)</sup>. والثاني، قرب النوافل، فهو كون الحق بوجوده محمولاً في إنية العبد وهويته له، فهو سمع العبد وبصره ولسانه وسائر قواه"<sup>(34)</sup>.

وقال الشيخ التهانوي نقلاً عن التحفة المرسله في تبيان معاني القربين المذكورين: "القرب على نوعين: قرب النوافل وهو زوال الصفات البشرية وظهور صفاته تعالى عليه؛ أي على البشر أن يجي ويميت بإذنه تعالى، ويسمع المسموعات من بعيد ويصير المبصرات من بعيد، وعلى هذا القياس، وهذا معنى فناء الصفات في صفات الله تعالى، وهو ثمرة النوافل، وقرب الفرائض وهو فناء العبد بالكلية عن الشعور بجميع الموجودات حتى نفسه أيضاً، بحيث لم يبق إلا وجود الحق سبحانه. وهذا معنى فناء العبد في الله تعالى، وهو ثمرة الفرائض"<sup>(35)</sup>.

### إثبات كرامات الأولياء

قال الشيخ عبد الرحمن الجامي: في كتاب دلائل النبوة للإمام المستغفري (أبو العباس جعفر بن المعتز بن محمد بن المستغفر النسفي الفقيه) رحمة الله عليه: "كرامات الأولياء حق بكتاب الله تعالى، والآثار الصحيحة المروية، وإجماع أهل السنة والجماعة على ذلك. فأما الكتاب فقوله تعالى: (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً)<sup>(36)</sup>. قال أهل التفسير في ذلك: كان يرى عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، ومريم، رضي الله عنها، لم تكن نبيهة بالإجماع، فهذه الآية حجة على منكر الكرامات للأولياء".

وفي كتاب كشف المحجوب: أن الله تعالى أخبرنا في نص الكتاب عن كرامة آصف، لما أراد سليمان عليه السلام، وعلى نبينا الصلاة والسلام، أن يُحضر تحت بلقيس، فأراد الله تعالى أن يظهر شرف آصف على الخلق ويُري كرامته أهل زمانه، فقال سليمان عليه السلام: (يا أيها الملاء أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين\* قال عفريتٌ من الجنِّ أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقويٌّ أمين\* قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقرًّا عنده)<sup>(37)</sup> فما أنكر عليه، ولا استحاله عليه. ولا يكون هذا بوجه من الوجوه معجزه؛ لأن آصف لم يكن نبياً، فلا محالة تكون كرامة.

(32) - سورة غافر، آية 16.

(33) - سورة الأنفال، آية 16.

(34) - مؤيد الدين الجندي، شرح فصوص الحكم، طبعة بوستان كتاب، قم، ص 363-364.

(35) - كشاف اصطلاحات الفنون، الجزء الثالث، دار الكتب العلمية، ص 489.

(36) - سورة آل عمران، آية 37.

(37) - سورة النمل، آية 38-40.

وأيضًا أحوال أصحاب الكهف، وكلام الكلب معهم، ونومهم وتقلبهم من جنبٍ إلى جنبٍ آخر. قال الله تعالى: (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسطٌ ذراعيه بالوصيد) (38)، وهذه كلها حرقٌ عاداتٍ وما كانت معجزةً، فلا بدَّ أن تكونَ كرامةً.

وأما إثباتُ الكرامة للأولياء من السنة الثابتة بالحديث الصحيح المرفوع، أن أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) قالوا: "يا رسولَ الله قل لنا شيئًا من عجائب الأمم الماضية". فقال (صلى الله عليه وسلم): "بينما ثلاثة نفرٍ ممن كان قبلكم يمشون، إذ أصابهم مطرٌ فأووا إلى غارٍ فانطبق عليهم، فقال بعضهم لبعض: إنه، والله، يا هؤلاء لا ينحيكم إلا الصدق، فليدعُ كل رجلٍ منكم بما يعلم أنه قد صدق فيه. فقال أحدهم: اللهم، إن كنت تعلم أنه كان لي أجرٌ عملٍ لي على فَرَقٍ (39) من أرز، فذهب وتركه، وإني عمدتُ إلى ذلك الفرقِ فزرعته، فصار أمره أني اشتريتُ منه بقرًا. وأنه أتاني يطلبُ أجرته فقلتُ له: اعمد إلى تلك البقرِ فسقها. فقال لي: إنما لي عندك فرقٌ من أرز! فقلتُ له: اعمد إلى هذه البقر، فإنها من ذلك الفرق، فسقها. فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساحت عنهم الصخرة.

فقال الآخر: اللهم إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، فكنت آتيهما كلَّ ليلةٍ بلبنٍ غنمٍ لي، فأبطأتُ عنهما ليلةً فجنثُ وقد رقدا، وأهلي وعيالي يتضاغون (40) من الجوع، وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي، فكهرتُ أن أوقظهما، وكهرت أن أدعهما فيستكئنا بشرتتهما، فلم أزل أنتظرُ حتى طلعَ الفجرُ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا، فانساحت الصخرة حتى نظروا إلى السماء.

فقال الآخر: اللهم، إن كنت تعلم أنه كان لي ابنةٌ عمٍّ من أحبِّ الناس إلي، وأني راودتها عن نفسها فأبت، إلا أن آتيها بمئة دينار، فطلبتها حتى قدرتُ عليها، فأتيها بها فدفعتها إليها، فأمكنني من نفسها، فلما قعدتُ بين رجليها قالت: اتقى الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه. فقممتُ وتركت المئة دينار، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرج عنا. ففرج الله عنهم فخرجوا". رواه البخاري...

وروى الإمام المستغفري رحمه الله تعالى بإسناده: أن أمير المؤمنين عليًا، (رضي الله عنه)، سأل رجلًا عن حديثٍ في الرحبة فكذبته، فقال: إنما كذبتني، قال: ما كذبتك. قال: فأدعو الله عليك إن كنت كاذبًا أن يعمي بصرك؟ قال: فادع الله. فدعا عليه أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه)، فعمي بصره فلم يخرج من الرحبة إلا وهو أعمى.

وهكذا عن سائر الصحابة والتابعين وتابع التابعين ومشايخ الطريقة، طبقة بعد طبقة، ظهرت الكرامات وخرقُ العادات، فهي لا تعد ولا تحصى. قال الإمام القشيري رحمه الله تعالى في رسالته: ولكثرة ما تواتر بأجناسها

(38) - سورة الكهف، آية 18.

(39) - الفرق: مكبال يسع ستة عشر رطلًا.

(40) - يتضاغون: أي يصيحون ويبيحون ويضجون.

-يعني بأجناس الكرامات- من الأخبار والحكايات صار العلمُ بكونها وظهورها على الأولياء علمًا قويًا انتفى عنه الشكوك، ومن توسط هذه الطائفة وتواتر عليه حكاياتهم وأخبارهم لم يبق له شبهة في ذلك.....

وفي كتاب "أعلام الهدى وعقيدة أرباب التقى"، تصنيف الشيخ الإمام قطب الأنام شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد السهروردي (قدس الله تعالى سرّه): ونعتقدُ أن للأولياء من أمتِه -يعني أمة محمدٍ (صلى الله عليه وسلم)- كراماتٍ وواجبات، وهكذا كان في زمن كلِّ رسولٍ كان لهم أتباع ظهرت لهم الكرامات، ومخرقات العادات، وكرامة الأولياء من تتمّة معجزات الأنبياء، ومن ظهر له وعلى يده من المخرقات وهو على غير التزام بأحكام الشريعة، نعتقد أنه زنديق، وأن الذي ظهر له مكرٌ واستدراج<sup>(41)</sup>.

وقد روى الإمام الرازي عن الإمام علي في التفسير الكبير أنه قال: "والله ما قلعت باب خير بقوة جسدانية ولكن بقوة ربانية، وذلك؛ لأن عليًا (رضي الله عنه) في ذلك الوقت انقطع نظره عن الأجساد وأشرقت الملائكة بأنوار عالم الكبرياء، فتقوى روحه، فتشبه بجواهر الأرواح الملكية، وتألأت فيه أضواء عالم القدس والعظمة، فلا جرم حصل له من القدرة ما قدر بها على ما لم يقدر عليه غيره"<sup>(42)</sup>.

قال ابن حجر في الإصابة في حياة الصحابة: وقد صحَّ أن الفاروق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان له جيشٌ في نهاوند من بلاد العجم، وكان سارية (رضي الله عنه) أميرًا عليه، وكان العدو كامنًا في أصل الجبل، ولا يعلم به جيش المسلمين، فنادى عمر وهو في المدينة على المنبر يخطب الناس يوم الجمعة: "يا سارية الجبل الجبل" فسمعوا صوته في نهاوند وتداركوا الموقف".

وروى البخاري والبيهقي والحاكم النيسابوري أن أسيد بن حضير، وعبد بن بشر (رضي الله عنهما) كانا عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حاجة حتى ذهب من الليل، وهي ليلة شديدة الظلمة، ويبد كل واحد منهما عصًا، فأضاءت لهما عصا أحدهما، ومشيا في ضوئها، حتى إذا افترتت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه، حتى بلغ أهله.

وما زالت الكرامات تجري على أيدي أولياء الله (تعالى) إلى قيام الساعة، مصداقًا لقول النبي (صلى الله عليه وسلم): "الخير فيَّ وفي أمتي إلى يوم الدين" ومصداقًا لقول النبي (صلى الله عليه وسلم): "ربُّ أشعث أغبر مدفوعٌ بالأبواب لو أقسم على الله لأبره" (رواه مسلم).

الفرق بين المعجزة والولاية والاستدراج

(41) - نفحات الأنس، الجزء الأول، ص 33-39.

(42) - 53-11.

قال الشيخ عبد الرحمن الجامي؛ موضحاً الفرق بين المعجزة، والولاية والاستدراج في كتابه، نفحات الأنس: وفي التفسير الكبير للإمام النحرير فخر الدين الرازي (رحمه الله): إذا ظهرَ فعلٌ خارقٌ للعادة على إنسان، فذلك إما يكون مقرونًا بالدعوى، أو لا مع الدعوى.

والقسم الأول: وهو أن يكون بالدعوى إما أن تكون دعوى إلهية، أو دعوى النبوة، أو دعوى الولاية، أو دعوى السحر، وطاعة الشيطان. فهذه أربعة أقسام:

القسم الأول إدعاء الألوهية: وجوّز أصحابنا ظهور خوارق العادات على يده من غير معارضة، كما نُقِلَ أنّ فرعونَ كان يدعي الألوهية، وكان يظهرُ على يدهِ خوارقُ العادات، وكما نُقِلَ أيضًا في حقِّ الدجال. قال أصحابنا: وإنما جاز ذلك؛ لأنَّ شكْلَهُ وخلْقَتَهُ تدلُّ على كذِبِهِ، وظهور الخوارق على يدهِ لا يفضي إلى التلبس.

والقسم الثاني إدعاء النبوة: وهذا القسم على قسمين؛ لأنه إما أن يكونَ ذلك المدعي صادقًا أو كاذبًا. فإن كان صادقًا وجبَ ظهور الخوارق على يده، وهذا متفقٌ عليه بين كلِّ من أقرَّ بصحَّة النبوة، وأما من كان كاذبًا، فلم يجز ظهور الخوارق على يده، وبتقدير أن تظهر وجب حصول المعارضة.

والقسم الثالث، وهو ادعاء الولاية: فالقائلون بكرامات الأولياء؛ اختلفوا في أنه هل يجوز ادعاء الكرامة، ثم إنَّها تحصل على دعواه أم لا؟

والقسم الرابع، وهو ادعاء السحر وطاعة الشيطان: فعند أصحابنا يجوز ظهور الخوارق على يده، وعند المعتزلة لا يجوز.

وأما الثاني، وهو أن تظهرَ خوارقُ العاداتِ على يدِ إنسانٍ من غير شيءٍ من الدعاوى، فذلك الإنسانُ إما أن يكونَ صالحًا مرضيًّا عند الله، وإما أن يكونَ خبيثًا مذنبًا.

والأول: هو القولُ بكرامات الأولياء وقد اتفقَ أصحابنا على جوازه، وأنكرها المعتزلةُ إلا أبا الحسين البصري، وصاحبه محمود الخوارزمي.

أما القسم الثاني: وهو أن تظهرَ خوارقُ العادات على بعض من كان مردودًا عن طاعة الله، فهذا هو المسمى بالاستدراج<sup>(43)</sup>.

وتحدث الشيخ يوسف النبهاني في كتابه "جامع كرامات الأولياء"، عن وجوه تعدد الأمور الخارقة للعادة، فقال: "واعلم أن خرق العادات على وجوه كثيرة. منها ما يكون عن قوى نفسية؛ فإن أجرام العالم تنفعل للهمم النفسية، وقد تكون عن حيل طبيعية معلومة وبأبها معلومٌ عند العلماء، وقد تكون عن نظم حروفٍ بطواعٍ وذلك لأهل الرصد، وقد تكون بأسماء يتلفظ بها ذاكرها فيظهر عند ذلك المسمى خرق عادة في ناظر عين الرائي لا في

(43) - نفحات الأنس، الجزء الأول، ص 31-32.



نفس الأمر، وقد تكون في نفس الأمر على قدر قوة ذلك الاسم، فهذه الوجوه كلها تحت قدرة المخلوق يجعل الله تعالى لها".

### في طبقات الأولياء ومراتبهم وأصنافهم

ذكر الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن عربي مراتب الأولياء وطبقاتهم على اختلاف أحوالهم في الباب الثالث والسبعين من الفتوحات المكية وأطال في ذلك، وقد لخصها الإمام يوسف النبهاني في كتابه جامع كرامات الأولياء ونحن بدورنا نلخص ما لخصه.

قال رضي الله عنه: "اعلم أن رجال الله في هذه الطريقة هم المسمون بعالم الأنفاس، وهو اسم يعم جميعهم، وهم على طبقات كثيرة وأحوال مختلفة، ومنهم من تجمع له الحالات كلها والطبقات، ومنهم من يحصل له من ذلك ما شاء الله، وما من طبقة إلا لها لقب خاص من أهل الأحوال والمقامات، ومنهم من يحصره عدد في كل زمان ومنهم من لا عد له لازم، فيقولون ويكثرون".

أ. أصحاب مراتب الولاية الذين يحصرهم عدد:

فمنهم رضي الله عنهم الأقطاب: وهم الجامعون للأحوال والمقامات بالأصالة أو بالنيابة. لا يكون منهم في الزمان إلا واحد، وهو الغوث أيضًا وهو من المقربين وهو سيد الجماعة في زمانه.

ومنهم رضي الله عنهم الأئمة: لا يزيدون في كل زمان عن اثنين لا ثالث لهما، الواحد عبد الرب والآخر عبد الملك والقطب عبد الله ولو كانت أسماؤهم ما كانت. وهما اللذان يخلفان القطب إذا مات، وهما له بمنزلة الوزيرين، الواحد منهم مقصور على مشاهدة عالم الملكوت والآخر على عالم الملك.

ومنهم رضي الله عنهم الأوتاد: وهم أربعة في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، الواحد منهم يحفظ الله به المشرق وولايته فيه، والآخر المغرب، والآخر الجنوب، والآخر الشمال، والتقسيم من الكعبة. وقد يكون منهم النساء وكذلك غيرهم، وألقابهم عبد الحي وعبد العليم وعبد القادر وعبد المرید.

ومنهم رضي الله عنهم الأبدال: وهم سبعة لا يزيدون ولا ينقصون، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة، لكل بدل منهم إقليم فيه ولاية، الواحد منهم على قدم الخليل وله الإقليم الأول، والثاني على قدم موسى الكليم، والثالث على قدم هارون، والرابع على قدم إدريس، والخامس على قدم يوسف، والسادس على قدم عيسى، والسابع على قدم آدم على الكل الصلاة والسلام. وإنما سموا أبدالاً لكونهم إذا فارقوا موضعًا ويريدون أن يخلفوا به بدلًا منهم في ذلك الموضع لأمر يرون فيه مصلحة وقربة، يتكون به شخصًا على صورتهم لا يشك أحد ممن أدرك رؤية ذلك

الشخص أنه عين ذلك الرجل، وليس هو بل هو شخص روحاني يتركه بدلاً منه على علمٍ منه، فكل من له هذه القوة فهو البديل، ومن يقيم الله عنه بدلاً في موضع ما ولا علم له بذلك فليس من الأبدال المذكورين.

ومنهم رضي الله عنهم النقباء: وهم اثنا عشر نقيباً في كل زمان، لا يزيدون ولا ينقصون على عدد بروج الفلك الإثني عشر برجاً، كل نقيبٍ عالمٌ بخاصية برج. واعلم أن الله تعالى قد جعل بأيدي هؤلاء النقباء علوم الشرائع المنزلة، ولهم استخراج خبايا النفوس وغوائلها، ومعرفة مكرها وخداعها. وأما إبليس فمكشوف عندهم يعرفون منه ما لا يعرفه من نفسه وهم من العلم بحيث إذا رأى أحدهم وطأة شخص في الأرض علم أنها وطأة سعيد أو شقي مثل علماء بالآثار والقيافة.

ومنهم رضي الله عنهم النجباء: وهم ثمانية في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون وهم الذين تبدو منهم وعليهم أعلام القبول من أحوالهم وإن لم يكن لهم في ذلك اختيار، لكن الحال يغلب عليهم، ولا يعرف ذلك منهم إلا من هو فوقهم لا من هو دونهم.

ومنهم رضي الله عنهم الحواريون: وهو واحد في كل زمان لا يكون فيه اثنان، فإذا مات ذلك الواحد أقيم غيره.

ومنهم رضي الله عنهم الرجبيون: وهم أربعون نفساً في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، هم رجالٌ حالهم القيام بعظمة الله وهم من الأفراد. وسموا رجبين لأن حال هذا المقام لا يكون لهم إلا في شهر رجب من أول استهلال هلاله إلى يوم انفصاله ثم يفقدون ذلك الحال من أنفسهم فلا يجدونه إلى دخول رجب من السنة الآتية، وقليل من يعرفهم من أهل هذا الطريق وهم متفرقون في البلاد، يعرف بعضهم بعضاً.

ومنهم رضي الله عنهم الختم: وهو واحد لا في كل زمان، بل واحد في العالم يختم الله به الولاية المحمدية، فلا يكون في الأولياء المحمديين أكبر منه، وثم ختم آخر يختم الله به الولاية العامة من آدم إلى آخر ولي، وهو عيسى عليه السلام، هو ختم الأولياء كما كان ختم دورة الفلك، فله يوم القيامة حشران، يحشر في أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويحشر رسولاً مع الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ومنهم رضي الله عنهم ثلاثمائة نفس على قلب آدم عليه السلام: في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، واعلم أن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم في حق هؤلاء الثلاثمائة "إنهم على قلب آدم" وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام في غير هؤلاء ممن هو على قلب شخصٍ من أكابر البشر أو الملائكة، إنما معناه أنهم يتقبلون في المعارف الإلهية تقلب ذلك الشخص إذ كانت واردات العلوم الإلهية إنما ترد على القلوب، فإنه يرد على هذه القلوب التي هي على قلبه، وربما يقول بعضهم فلان على قدم فلان وهو بهذا المعنى نفسه. ولكل واحد من هؤلاء الثلاثمائة من الأخلاق الإلهية ثلاثمائة خلق إلهي من تخلق بواحد منها حصلت له السعادة، وهؤلاء هم المحبتون المصطفون،

ويستحبون من الدعاء ما ذكره الحق سبحانه في كتابه: (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)(44).

ومنهم رضي الله عنهم أربعون شخصًا على قلب نوح عليه السلام: في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، هكذا ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الطبقة "أن في أمته أربعين على قلب نوح (عليه السلام)" وهو أول الرسل، والرجال الذين هم على قلبه صفتهم القبض، ودعائهم دعاء نوح (رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنًا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا)(45). ومقام هؤلاء الرجال الغيرة الدينية وهو مقام صعب المرتقى وكل ما تفرق في هؤلاء الأربعين اجتمع في نوح كما أن كل ما تفرق في الثلاثمائة اجتمع في آدم، وعلى معارج هؤلاء الأربعين عملت الطائفة الأربعينيات في خلواتهم لم يزيدون على ذلك شيئًا، وهي خلوات الفتح عندهم ويحتجون على ذلك بالخبر المروي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "من أخلص لله أربعين يومًا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه".

ومنهم رضي الله عنهم سبعة على قلب الخليل (عليه السلام): لا يزيدون ولا ينقصون في كل زمان، ورد به الخبر المروي عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ودعائهم دعاء الخليل: (رب هب لي حكمًا وألحقني بالصالحين)(46) ومقامهم مقام السلامة من جميع الريب والشكوك، وقد نزع الله عنهم الغل من صدورهم في هذه الدنيا وسلم الناس من سوء ظنهم إذ ليس لهم سوء ظن، بل ما لهم ظن فإنهم أهل علم صحيح.

ومنهم رضي الله عنهم خمسة على قلب جبريل عليه السلام: لا يزيدون ولا ينقصون في كل زمان، ورد به الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم، هم ملوك أهل هذه الطريقة، لهم من العلوم على عدد ما لجبريل من القوى المعبر عنها بالأجنحة التي بها يصعد وينزل، ولا يجاوز علم هؤلاء الخمسة علم جبريل وهو الممد لهم من الغيب ومعه يقفون يوم القيامة في الحشر.

ومنهم رضي الله عنهم ثلاثة على قلب ميكائيل عليه السلام: لا يزيدون ولا ينقصون في كل زمان، لهم الخير المحض والرحمة والحنان والعطف، والغالب على هؤلاء الثلاثة البسط والتبسم ولين الجانب والشفقة المفرطة ومشاهدة ما يوجب الشفقة، ولهم من العلوم على قدر ما لميكائيل من القوى.

ومنهم رضي الله عنهم واحد على قلب إسرافيل عليه السلام: في كل زمان، وله الأمر ونقيضه، جاء بذلك خبرٌ مروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن له علم بإسرافيل. وكان أبو يزيد البسطامي ممن كان على قلب إسرافيل وله من الأنبياء عيسى عليه السلام، فمن كان على قلب عيسى فهو على قلب إسرافيل ومن كان على قلب إسرافيل قد لا يكون على قلب عيسى.

(44) - سورة الأعراف، آية 23.

(45) - سورة نوح، آية 28.

(46) - سورة الشعراء، آية 83.

وأما من رجال عالم الأنفاس رضي الله عنهم فأنا أذكرهم وهم على قلب داود عليه السلام: لا يزيدون ولا ينقصون في كل زمان، وإنما نسبناهم إلى قلب داود وقد كانوا موجودين قبل ذلك بهذه الصفة، فالمراد أن ما تفرق فيهم من الأحوال والعلوم والمراتب اجتمع في داود.

فمنهم رضي الله عنهم رجال الغيب: وهم عشرة لا يزيدون ولا ينقصون، هم أهل خشوع فلا يتكلمون إلا همسا لغلبة تجلي الرحمن عليهم في أحوالهم، قال تعالى: (وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا)<sup>(47)</sup>، وهؤلاء هم المستورون الذين لا يُعرفون، خباهم الحق في أرضه وسماؤه، فلا يناجون سواه ولا يشهدون غيره (بمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما)<sup>(48)</sup> دأبهم الحياء إذا سمعوا أحدًا يرفع صوته في كلامه ترعد فرائصهم ويتعجبون.

ومنهم رضي الله عنهم ثمانية عشر نفسًا أيضًا هم الظاهرون بأمر الله عن أمر الله: لا يزيدون ولا ينقصون في كل زمان ظهورهم بالله قائمون بحقوق الله مثبتون الأسباب خرق العوائد لهم عادة، آيتهم (قل الله ثم ذرهم)<sup>(49)</sup>، وأيضًا: (إني دعوتهم جهارا)<sup>(50)</sup>.

ومنهم رضي الله عنهم ثمانية رجال يقال لهم رجال القوة الإلهية: آيتهم من كتاب الله (أشداء على الكفار)<sup>(51)</sup> لهم من الأسماء الإلهية ذو القوة المتين، لا تأخذهم في الله لومة لائم، وقد يسمون رجال القهر لهم هم فعالة في النفوس وبهذا يعرفون.

ومنهم رضي الله عنهم خمسة عشر نفسًا هم رجال الحنان والعطف الإلهي: آيتهم آية الريح السليمانية (تجري بأمره رخاء حيث أصاب)<sup>(52)</sup>. لهم شفقة على عباد الله مؤمنهم وكافرهم، ينظرون الخلق بعين الجود والوجود، لا بعين الحكم والقضاء، لا يولي الله أحدهم قط منهم أحدًا ولاية ظاهرة من قضاء أو ملك لأن ذوقهم ومقامهم لا يشمل القيام بأمر الخلق، فهم مع الخلق في الرحمة المطلقة التي قال الله تعالى فيها: (ورحمتي وسعت كل شيء)<sup>(53)</sup>.

ومنهم رضي الله عنهم أربعة أنفس في كل زمان: لا يزيدون ولا ينقصون، آيتهم من كتاب الله (الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن)<sup>(54)</sup>، وآيتهم أيضًا في سورة تبارك الملك: (الذي خلق سبع سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت)<sup>(55)</sup> هم رجال الهيبة والجلال.

(47) - سورة طه، آية 108.

(48) - سورة الفرقان، آية 63.

(49) - سورة الأنعام، آية 91.

(50) - سورة نوح، آية 8.

(51) - سورة الفتح، آية 29.

(52) - سورة ص، آية 36.

(53) - سورة الأعراف، آية 156.

(54) - سورة الطلاق، آية 12.

(55) - سورة الملك، آية 3.

كأنما الطير منهم فوق رؤوسهم لا خوف ظلم ولكن خوف إجلال

وهم الذين يمدون الأوتاد، الغالب على أحوالهم الروحانية، قلوبهم سماوية مجهولون في الأرض معروفون في السماء، أحدهم على قلب محمد صلى الله عليه وسلم والآخر على قلب شعيب عليه السلام والثالث على قلب صالح عليه السلام، والرابع على قلب هود عليه السلام. ينظر إلى أحدهم من المأ الأعلى عزرائيل، وإلى الآخر جبريل، وإلى الآخر ميكائيل، وإلى الآخر إسرافيل. شأنهم عجيب وأمرهم غريب.

ومنهم رضي الله عنهم أربعة وعشرون نفسًا في كل زمان يسمون رجال الفتح: لا يزيدون ولا ينقصون، بهم يفتح الله على قلوب أهل الله ما يفتحه من المعارف والأسرار، آيتهم في كتاب الله (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها)<sup>(56)</sup>.

ومنهم رضي الله عنهم سبعة أنفس في كل زمان: لا يزيدون ولا ينقصون، رجال المعارج العلاء، لهم في كل نفس معراج، وهم أعلى عالم الأنفاس: أي الأولياء أصحاب المراتب، آيتهم من كتاب الله تعالى: (وأنتم الأعلون والله معكم)<sup>(57)</sup>.

ومنهم رضي الله عنهم أحد وعشرون نفسًا وهم رجال التحت الأسفل: وهم أهل النفس الذي يتلقونه من الله لا معرفة لهم بالنفس الخارج عنهم، وهم على هذا العدد في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، آيتهم من كتاب الله: (ثم رددناه أسفل سافلين)<sup>(58)</sup>، يريد تعالى به عالم الطبيعة إذ لا أسفل منه، رده إليه ليحيا به، فإن الطبع ميت بالأصالة فأحياه بهذا النفس الرحماني الذي رده إليه، وهؤلاء الرجال لا نظر لهم إلا فيما يرد من عند الله مع الأنفاس فهم أهل حضور مع الدوام.

ومنهم رضي الله عنهم ثلاثة أنفس: وهم رجال الإمداد الإلهي والكويني في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، فهم يستمدون من الحق ويمدون الخلق ولكن بلطف ورحمة لا بعنف ولا شدة ولا قهر، يقبلون على الله بالإستفادة ويقبلون على الخلق بالإفادة.

ومنهم رضي الله عنهم ثلاثة أنفس إلهيون رحمانيون في كل زمان: لا يزيدون ولا ينقصون، يشبهون الأبدال في بعض الأحوال وليسوا بأبدال، آيتهم من كتاب الله (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصديّة)<sup>(59)</sup>.

ومنهم رضي الله عنهم رجل واحد وقد تكون امرأة في كل زمان: آيته (وهو القاهر فوق عباده)<sup>(60)</sup>، له الاستطالة على كل شيء سوى الله، شههم شجاع مقدم كثير الدعوى بحق، يقول حقًا ويحكم عدلاً.

(56) - سورة فاطر، آية 42.

(57) - سورة محمد، آية 35.

(58) - سورة التين، آية 5.

(59) - سورة الأنفال، آية 35.

(60) - سورة الأنعام، آية 18.

ومنهم رضي الله عنهم واحد متركب ممتزج في كل زمان: لا يوجد غيره في مقامه، وهو يشبه عيسى عليه السلام، متولد بين الروح والبشر، لا يعلم له أب بشري كما يحكى أن بلقيس تولدت بين الجن والإنس، فهو مركب من جنسين مختلفين، وهو رجل البرزخ به يحفظ الله تعالى عالم البرزخ دائماً، فلا يخلو كل زمان عن واحد مثل هذا الرجل، يكون مولده على هذه الصفة، فهو مخلوق من ماء أمه خلافاً لما ذكره أهل علم الطبائع أنه لا يتكون من ماء المرأة ولد، بل الله على كل شيء قدير.

ومنهم رضي الله عنهم رجل واحد، وقد يكون امرأة، له دقائق ممتدة الى جميع العالم: وهو شخص غريب المقام لا يوجد منه في كل زمان إلا واحد، يلتبس على بعض أهل الطريق ممن يعرفه بحالة القطب، فيتخيل أنه القطب وليس بالقطب.

ومنهم رضي الله عنهم رجل واحد يسمى بمقامه سقيط الرفرف بن ساقط العرش: آيته من كتاب الله تعالى: (والنجم اذا هوى)<sup>(61)</sup> حاله لا يتعداه شغله بنفسه وبربه، كبير الشأن عظيم الحال رؤيته مؤثرة في حال من يراه، فيه انكسار.

ومنهم رضي الله عنهم رجلا يقال لهما رجال الغنى بالله في كل زمان من عالم الأنفاس، أي الأولياء أصحاب المراتب كما تقدم، آيتهما من كتاب الله: (والله غني عن العالمين)<sup>(62)</sup> يحفظ الله بهما هذا المقام، للواحد منهما إمداد عالم الشهادة، فكل غني من عالم الشهادة فمن هذا الرجل، وللآخر منهما إمداد عالم الملكوت فكل غني بالله في عالم الملكوت فمن هذا الرجل، والذي يستمد منه هذان الرجلان روح علوي متحقق بالحق غناه الله ما هو غناه بالله.

ومنهم رضي الله عنهم شخص واحد يتكرر بقلبه في كل نفس: لا ترى في الرجال أعجب منه حالاً، وليس في أهل المعرفة بالله أكبر معرفة من صاحب هذا المقام، يخشى الله ويتقيه، آيته من كتاب الله: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)<sup>(63)</sup>، وقوله تعالى: (ثم رددنا لكم الكرة عليهم)<sup>(64)</sup>، لا يزال ترعد فرائضه من خشية الله.

ومنهم رضي الله عنهم رجال التحكيم والزوائد وهم عشرة أنفس في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون: مقامهم إظهار غاية الخصوصية بلسان الانبساط في الدعاء، وحالهم زيادة الإيمان بالغيب واليقين في تحصيل ذلك الغيب، فلا يكون لهم غيب إذ كل غيب لهم شهادة، وكل حال لهم عبادة، فلا يصير لهم غيب وشهادة إلا ويزيدون إيماناً بغيبٍ آخر ويقيناً في تحصيله، آيتهم من كتاب الله تعالى: (وقل رب زدني علماً)<sup>(65)</sup>، (ليزدادوا إيماناً مع

(61) - سورة النجم، آية 1.

(62) - سورة آل عمران، آية 97.

(63) - سورة الشورى، آية 11.

(64) - سورة الإسراء، آية 6.

(65) - سورة طه، آية 114.

إيمانهم<sup>(66)</sup>، (فردناهم إيماناً وهم يستبشرون) <sup>(67)</sup> بالزيادة. وقوله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)<sup>(68)</sup>.

ومنهم رضي الله عنهم اثنا عشر نفساً يقال لهم البدلاء وما هم الأبدال: وهم في كل زمان لا يزيدون ولا ينقصون، مقامهم إظهار غاية الخصوصية بلسان الانبساط في الدعاء، وحالهم زيادة الإيمان بالغيب واليقين، وسموا بدلاء لأن الواحد منهم لو لم يوجد الباقيون ناب مناهم وقام بما يقوم به جميعهم.

ومنهم رضي الله عنهم رجال الاشتياق وهم خمسة أنفس وهم من ملوك أهل طريق الله: بهم يحفظ الله وجود العالم، آيتهم من كتاب الله تعالى: (حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى)<sup>(69)</sup> لا يفترتون عن صلاة في ليل أو نهار.

ب. الأولياء الذين لم يحصرهم عدد في كل زمان بل يزيدون وينقصون:

فمنهم رضي الله عنهم الملامتية وقد يقولون الملامية: وهم سادات أهل طريق الله وأئمتهم، هم الحكماء الذين وضعوا الأمور مواضعها وأحكموها، وأقروا الأسباب في أماكنها ونفوها في المواضع التي ينبغي أن تنتفي عنها، ولا أخلوا بشيء مما رتبته الله في خلقه على حسب ما رتبوه، فما تقتضيه الدار الأولى تركوه للدار الأولى، وما تقتضيه الدار الآخرة تركوه للدار الآخرة، فنظروا للأشياء بالعين التي نظر الله إليها، لم يخلطوا بين الحقائق، فاللامية مجهولة أقدارهم لا يعرفون إلا سيدهم الذي حباهم وخصهم بهذا المقام.

ومنهم رضي الله عنهم الفقراء: قال تعالى تشریفًا لجميع الموجودات: (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله)<sup>(70)</sup>. قال أبو يزيد: يا رب بما أتقرب إليك؟ قال: بما ليس لي: الذلة والافتقار. قال تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)<sup>(71)</sup>؛ أي ليدلوا لي.

ومنهم رضي الله عنهم الصوفية: وهم أهل مكارم الأخلاق، يقال: من زاد عليك في الأخلاق زاد عليك في التصوف. مقامهم الاجتماع على قلب واحد، أسقطوا الياءات الثلاثة: فلا يقولون لي ولا عندي ولا متاعي: أي لا يضيفون لأنفسهم شيئاً.

ومنهم رضي الله عنهم العباد: وهم أهل الفرائض خاصة، قال تعالى مثنيًا عليهم: (وكانوا لنا عابدين)<sup>(72)</sup>، ولم يكونوا يؤدون سوى الفرائض، ومن هؤلاء المنقطعون بالجبال والشعاب والسواحل وبطنون الأودية، ويسمون

(66) – سورة الفتح، آية 4.

(67) – سورة التوبة، آية 124.

(68) – سورة البقرة، آية 186.

(69) – سورة البقرة، آية 238.

(70) – سورة فاطر، آية 15.

(71) سورة الذاريات، آية 51.

(72) – سورة الأنبياء، آية 73.

السياح. ومنهم من يلازم بيته وصلاة الجماعات، ويشتغل بنفسه. ومنهم صاحب سبب ومنهم تارك السبب وهم صلحاء الظاهر والباطن وقد عصموا من الغل والحسد والحرص والطمع والشره المذموم، وصرفوا كل هذه الأوصاف إلى الجهات المحمودة، ولا رائحة عندهم من المعارف الإلهية والأسرار ومطالعة الملكوت والفهم عن الله تعالى في آياته حين تتلى، غير أن الثواب لهم مشهود، والقيامه وأهوالها والجنة والنار لهم مشهودتان، دموعهم في محاريبهم، تتجافى جنوبهم عن المضاجع، يدعون رهم خوفاً وطمعاً وتضرعاً وخيفة، إذا خاطبهم الجاهل قالوا سلاماً، وإذا مروا باللغو مروا كراماً، يبيتون لرهم سجداً وقياماً، شغلهم خوف المعاد عن الرقاد، وضمروا بطونهم بالصيام للسباق في حلبة النجاة، وإذا انفقوا لم يسرفوا وكانوا بين ذلك قواماً، ليسوا من أهل الإثم والباطل في شيء، عمال وأي عمال، عاملوا الحق بالتعظيم والإجلال.

ومنهم رضي الله عنهم الزهاد: وهم الذين تركوا الدنيا عن قدرة.

ومنهم رضي الله عنهم رجال الماء: وهم قومٌ يعبدون الله تعالى في قعور البحار والأنهار.

ومنهم رضي الله عنهم الأفراد: ولا عدد يحصرهم وهم المقربون بلسان الشرع، وهم رجال خارجون عن دائرة القطب والخضر منهم، ونظيرهم من الملائكة الأرواح المهيمة في جلال الله تعالى، وهم الكروبيون معتكفون في حضرة الحق سبحانه لا يعرفون سواه، ولا يشهدوا سوى ما عرفوا منه، ليس لهم بذواتهم علم عند أنفسهم، مقامهم بين الصديقية والنبوة التشريعية.

ومنهم رضي الله عنهم الأمناء: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله أمناء".

ومنهم رضي الله عنهم القراء: أهل الله وخاصته، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أهل القرآن هم أهل الله وخاصته".

ومنهم رضي الله عنهم الأحياء: قال تعالى: (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه)<sup>(73)</sup>، فمن كوئهم محبين ابتلاهم ومن كوئهم محبوبين اجتباهم واصطفاهم.

ومنهم رضي الله عنهم المحدثون: قال تعالى: (وما كان بشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب)<sup>(74)</sup>.

ومنهم رضي الله عنهم الأخلاء: قال الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)<sup>(75)</sup>، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله".

ومنهم رضي الله عنهم السمراء: وهم صنف خاص من أهل الحديث وهذا الصنف لا حديث لهم مع الأرواح فحديثهم مع الله تعالى.

(73) - سورة المائدة، آية 54.

(74) - سورة الشورى، آية 51.

(75) - سورة النساء، آية 125.



ومنهم رضي الله عنهم الورثة: وهم ثلاثة أصناف: ظالم لنفسه، ومقتصد، وسابق بالخيرات، قال تعالى: (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير)(76).

## أنواع الكرامات وخوارق العادات وأجلها

قال الشيخ عبد الرحمن الجامي مبيِّناً أنواع الكرامات في كتابه نفحات الأنس: وهي كثيرة، كإيجاد المعدوم، وإعدام الموجود، وإظهار أمرٍ مستور، وستر أمرٍ ظاهر، واستجابة دعاء، وقطع مسافة بعيدة في مدة قليلة، وإطلاع على أمور غائبة عن الحس، وإخبار عنها، وحضور شخصٍ في أمكنة متعددة مختلفة في زمنٍ واحد، وإحياء الموتى، وإماتة الأحياء، واستماع كلام الحيوانات والنباتات والجمادات من التسييح وغيره، وإحضار الطعام والشراب في وقت الاحتياج بغير سببٍ ظاهر، وغير ذلك من فنون الأعمال المناقضة للعادة، كالمشي على الماء والسياحة في الهواء، وكالأكل من الكون، وكتسخير الحيوانات الوحشية، وكالقوة الظاهرة على أبدانهم، كالذي اقتلع شجرةً برجله من أصلها وهو يدور في السماع، وضرب اليد على الحائط فينشق، وبعضهم يشير بإصبعه إلى شخصٍ ليقع فيقع، أو يضرب عنق أحدٍ بالإشارة فيطير رأسُ المشار إليه.

وبالجملة إذا جعل الله لأحد أحبائه مظهر قدرته الكاملة يتصرّف في هيمولى العالم كيف يشاء، وفي الحقيقة ذلك التصرف والقدرة لله الواحد القهار، فلا يكون منه.

قال بعض كبراء العارفين: والأصل الذي يجمع لك هذا كله أن من حرق عادةً نفسه ما استمرت عليه نفوس الخلق أو نفسه، فإن الله يحرق له عادةً مثلها في مقابلها تسمى كرامةً عند العامة، وأما الخاصة فالكرامة عندهم العناية الإلهية التي وهبتهم التوفيق والقوة حتى حرقوا عوائد أنفسهم، فتلك الكرامة عندهم، وأما التي تسمى في العموم كرامة، والرجال اتقوا من ملاحظتها بمشاركة المستدرج الممكور به، ولكونها معاوضة خافوا أن تكون حظاً عملهم، لأن الحظوظ محلها الدار الآخرة، فإذا عُجِّلَ منها شيءٌ فزَعْنَا أن يكونَ حظاً عملنا، وقد وردت في ذلك أخبار، وأتى يصح الخوف مع الكرامة؟ فإذا ليست بكرامةٍ عندنا وإنما حرقُ عادة، فإن اقترنَ معها البشرى بأنها زيادةٌ لا تنقصُ حظاً، ولا سبقت لحجابٍ فحينئذ تُسمى كرامة، فالبشرى على الحقيقة هي الكرامة.

وقال أيضاً: أجلُّ الكرامات وأعظمها التلذذ بالطاعات في الخلوات والجلوات، ومنها مراعاة الأنفاس مع الله تعالى، ومنها حفظ الأدب معه في تلقي الواردات في الأوقات، ومنها الرضا عن الله تعالى في جميع الحالات، ومنها البشرى لهم من الله بالسعادة الأبدية في الدار الآخرة(77).

## الفرق بين النبوة والولاية

(76) - سورة فاطر، آية 32.  
(77) - نفحات الأنس، الجزء الأول، ص 40-41.

قال الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي في كتابه فصوص الحكم شارحاً الفرق بين النبوة والولاية: "واعلم أن الولاية هي الفلك المحيط العام، ولهذا لم تنقطع وله الإنباء العام، أما نبوة التشريع والرسالة فمنقطعة، وفي محمد صلى الله عليه وسلم انقطعت... فإذا رأيت النبي يتكلم بكلامٍ خارجٍ عن التشريع فمن حيث هو وليٌّ عارف ولهذا مقامه من حيث هو عالمٌ وولي أتم وأكمل من حيث هو رسولٌ أو ذو تشريع وشرع، فإذا سمعت أحداً من أهل الله يقول لك أو ينقل إليك عنه أنه قال الولاية أعلى من النبوة فليس يريد ذلك القائل إلا ما ذكرناه، أو يقول أن الولي فوق النبي والرسول فإنه يعني بذلك في شخصٍ واحد و هو أن الرسول من حيث أنه ولي أتم منه من حيث أنه نبي أو رسول، لا أن الولي التابع له أعلى منه فإن التابع لا يدرك المتبوع أبداً فيما هو تابعٌ له فيه إذ لو أدركه لم يكن تابعاً له فافهم. فمرجع الرسول والنبي المشرع إلى الولاية والعلم، ألا ترى أن الله أمره الزيادة من العلم فقال: (وقل رب زدني علماً) [سورة طه، آية 114] وذلك أنك تعلم أن الشرع تكليفٌ بأعمالٍ مخصوصة أو نهيٌ عن أعمالٍ مخصوصة، ومحلها هذه الدار فهي منقطعة، والولاية ليست كذلك إذ لو انقطعت لانقطعت من حيث هي كما انقطعت الرسالة من حيث هي، وإذا انقطعت من حيث هي لم يبق لها إسمٌ والولي اسمٌ باقٍ لله تعالى فهو لعبيده تخلّقاً وتحققاً وتعلّقاً". (فصوص الحكم، ص 121-122).

أ- في أن النبوة والرسالة مراتب من ولاية الرسول ولذلك فإن الولاية الكاملة لا تكون إلا لنبي أو رسول وأن من ظهرت فيه النبوة والرسالة والولاية على الكمال هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

قال الشيخ عبد الغني النابلسي في كتابه جواهر النصوص في حل كلمات الفصوص: "(إذ) أي لأن (النبوة والرسالة خصوص رتبة) من المراتب (في) مقام (الولاية محتوية) تلك الرتبة (على) بعض ما تحتوي عليه الولاية من المراتب) الإلهية فإن الإنباء والإخبار في مقام النبوة والتبليغ في مقام الرسالة كشفٌ في نفس الأمر بحسب الاستعداد الذي خلقت عليه الأنبياء والمرسلون لقبول فيض التجلي الدائم، فالكلُّ ولايةٌ وأخذٌ بطريق الكشف والتجلي ولكنَّ النبوة والرسالة خصوص حالةٍ من ذلك فإذا نقص هذا الخصوص كان هبوطُ مقامٍ في الجملة (فيعلم أنه) أي النبي والرسول الجامع لجميع مراتب الولاية خصوصها وعمومها (أعلى) مرتبةً عند الله تعالى (من) مرتبة (الولي الذي) نقصت ولايته بحيث (لا يكون) خصوص مرتبة (نبوة تشريع) للأمة (عنده) فيها (ولا) خصوص مرتبة (رسالة)". (الجزء الثاني، ص 117-118).

وقال الشيخ سعيد الدين الفرغاني في كتاب منتهى المدارك شارحاً ظهور الولاية على التمام والكمال صوراً ومعنىً في النبي صلى الله عليه وسلم: "فلا جرم من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم كانت النبوة ظاهرةً

والولاية مخفيةً مندرجةً فيها لسلطنة حكم المظاهر في النزول واختفاء الأسماء في مظاهرها وغلبة حكم تلبسها على تجردها، وأما نبينا صلى الله عليه وسلم فقد كان صاحب صعودٍ وعودٍ ورجوعٍ لإشارة قوله تعالى: (إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) [سورة القصص، آية 85] ... فكان جملةً لما تفصل من آدم صورةً ومعنى كما كان آدم جملةً لتفصيل العالم صورةً ومعنى أيضاً... فكان اجتماع حقيقة الولاية مع حقيقة النبوة فيه على السواء بحيث لا يغلب حكم إحداهما على الأخرى غالباً وإليه الإشارة بقوله (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) [سورة الأحزاب، آية 45] وأحياناً تغلب الولاية على النبوة فيه كما قال: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) [سورة الفتح، آية 10] وقوله: "إن لي وقتاً مع الله لا يسعني فيه ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل" ووقتاً يغلب حكم النبوة على حكم الولاية فيه بدليل قوله تعالى: (إن هو إلا نذير لكم) [سورة سبأ، آية 34] ويقول: (وما أنا إلا نذيرٌ مبين) [سورة الأحقاف، آية 9]. ولما كان صلى الله عليه وسلم صاحب عودٍ ورجوعٍ وعروجٍ كما كان آدم صاحب هبوطٍ ونزولٍ لا جرم انتهى حكم النزول إليه، والنبوة لما كانت متعلقة بالنزول ليتبين ما يتعلق به الكمال الظاهر المناسب لذلك الزمان وقد تم وحصل وفرغ من ذلك فلا جرم ختم به النبوة فلا نبي بعده أصلاً وظهرت النبوة فيه مع ظهور الولاية على السواء بحكم تحققه بحقيقة السوائية بل كانت حقيقته عين السوائية بين الأول والآخر والظاهر والباطن بلا ميل وغلبة ومغلوبة أصلاً ثم انشقت الولاية منه وظهرت متميزةً عن النبوة... فكما أن كليات تفرقة جمع صورة آدم عليه السلام كانوا خلفاء وأنبياء ورسلاً مندرجة فيهم الولاية لكونهم أصحاب نزول فكذلك تفرقة جمع معنى محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أولياء وأقطاباً مندرجاً حكم النبوة في ولايتهم لكونهم أصحاب عودٍ ورجوعٍ على حكم جمعهم وكلهم الذي هو العين الحمدي صلى الله عليه وسلم صورةً ومعنى". (الجزء الأول، ص 84-85).

ب- في كون النبوة والولاية اعتبارين للحقيقة المحمدية وتعريفهما باعتبار هذه الحقيقة:

قال الشيخ مؤيد الدين الجندي في كون النبوة والولاية اعتبارين للحقيقة المحمدية في كتابه شرح فصوص الحكم: "فالتجلي الذاتي... لا يكون إلا للحقيقة الإنسانية الكمالية المحمدية الأزلية الأولية والأبدية الختمية... فاعلم أن لهذه الحقيقة تعيناً أحدياً جمعياً كمالياً في مرتبة ظاهريتها وباطنيتها، فظاهريتها النبوة وباطنيتها الولاية... والإنسان الذي تتعين به وفيه هو المظهر الأكمل والمرآة الأجلى والمجلى الأشمل لذات الذات الإلهية وصفاتها وأخلاقها ونسبها وإضافاتها وأسمائها وأفعالها وأحوالها. فأما ظاهريتها وهي جهة نبوتها فمرآة ذات الألوهية ومظهرها ومجلاها ومنظرها... وباطنها وهو ولايتها مرآةً للهوية الحقيقية الأحادية الجمعية المطلقة". (ص 246).

وقال الشيخ عبد الكريم الجيلي في كتابه الإنسان الكامل موضعًا ذلك: "اعلم حفظك الله أن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره، وهو واحدٌ منذ أن كان الوجود إلى أبد الآبدين، ثم له تنوع في ملابس ويظهر في كنائس، فيسمى به باعتبار لباس ولا يسمى به باعتبار لباسٍ آخر. فاسمه الأصلي الذي هو له محمد، وكنيته أبو القاسم، ووصفه عبد الله، ولقبه شمس الدين، ثم له باعتبار ملابسٍ أخرى أسام وله في كل زمان اسم ما يليق بلباسه في ذلك الزمان... وقد جرت سنته صلى الله عليه وسلم أنه لا يزال يتصور في كل زمانٍ بصورة أكملهم ليعلي شأنهم و يقيم ميلانهم، فهم خلفاؤه في الظاهر وهو في الباطن حقيقتهم". (الجزء الثاني، ص 74-75).

ج- في تعريف الولاية الذاتية المحمدية:

وقال الجيلي في تعريف الولاية الذاتية المحمدية: "(إن) عود الحقيقة الإنسانية من أنهى منزلها إلى الحق الذي هو محتدها الأصلي و قيامها به بعد تجردها عن الرسوم الخلقية ومحوها وفنائها في تجليه الذاتي إن كان باقتضاء حكم الأحدية وسرايتها أفاد القرب الأقرب... وهذا القرب إنما يضاف إلى الحقيقة السيادية المحمدية بالأصالة وإلى غيرها بحكم الوراثة، فقيام الحقيقة الإنسانية بالحق من حيثية هذا القرب هي الولاية الخاصة المحمدية التي فيها جوامع تفصيل الولايات الجمّة". (كشف الغايات شرح كتاب التجليات، ص 112).

وقال أيضًا: "فاعلم أن الذاتيين عبارةً عن كانت اللطيفة الإلهية فيهم، فإن الحقَّ إذا تجلى على عبده وأفناه عن نفسه أقام فيه لطيفةً إلهية، فتلك اللطيفة قد تكون ذاتيةً وقد تكون صفاتية، فإذا كانت ذاتيةً كان ذلك الهيكل الإنساني هو الفرد الكامل والغوث الجامع، عليه يدور أمر الوجود... وبه يحفظ الله العالم وهو المعبر عنه بالمهدي والخاتم، وهو الخليفة وأشار إليه في قصة آدم، تنجذب الحقائق إلى امتثال أمره انجذاب الحديد إلى حجر المغناطيس... (الإنسان الكامل، الجزء الأول، ص 72).

وقال أيضًا: "(ذلك الكتاب) والكتاب هو الإنسان الكامل... (لا ريب فيه هدى للمتقين) الذين هم وقاية عن الحق والحق وقاية عنهم، فإذا دعوت الحق كنييت به عنهم وإن دعوتهم فقد كنييت بهم عنه (الذين يؤمنون بالغيب) والغيب هو الله لأنه غيبهم آمنوا به أنه هو يتهم وأنهم عينه (ويقيمون الصلاة) يعني يقيمون بناموس المرتبة الإلهية في وجودهم بالاتصاف بحقيقة الأسماء والصفات (ومما رزقناهم ينفقون) يعني يتصرفون في الوجود من ثمره ما أنتجته هذه الأحدية الإلهية في ذواتهم، فكأنهم رزقوا ذلك بواسطة ملاحظة الأحدية الإلهية فيهم، فهؤلاء السابقون المفردون المشار إليهم بقوله عليه الصلاة والسلام: "سيروا سبق المفردون". (الإنسان الكامل، الجزء الثاني، ص 138-139).

## مراحل الولاية المحمدية الخاصة بالولي الكامل المسمى بالإنسان الكامل والوارث المحمدي وبالقطب الفرد الجامع وبغيره من الأسماء

قال الشيخ عبد الكريم الجيلي موضحًا ذلك في كتابه شرح مشكلات الفتوحات المكية: "هي (أي مراحل الولاية المحمدية) سبعة أطوارٍ لا بد لكلٍ كاملٍ أن يقطع تلك المنازل حتى يبلغ درجة التحقيق: الطور الأول: التوحيد الصرف، لا بد للولي أن يقطع مسافة الفرق حتى يحصل في حقيقة الجمع، فلا يشهد ولا يسمع ولا يعلم شيئًا سوى الله تعالى، وهو ما دام فانيًا لا يسافر من هذا المنزل. فإذا بقي بالله سافر إلى الطور الثاني فيحصل في حقيقة جمع الجمع، وفي هذا المشهد يفنى من كان باقياً في الطور الأول ويبقى من كان فانيًا فيتحقق حينئذٍ بالوحدة المحضة... ومن هذا المنزل يسافر إلى الطور الثالث وهو طور الساذجة المحضة الذاتية الصرفة، فيقبل بحقيقته وهيئته التصور بكل صورة من صور التجليات ومعنى من معاني الأسماء والصفات وبكل هيئةٍ وحالةٍ وشكلٍ وحكمٍ من سائر الموجودات فيكون عين كل شيء على ما هو عليه ذلك الشيء... ومن هذا المنزل يسافر إلى الطور الرابع فيعطى مفاتيح الغيب وهي الأسماء التي أظهرت صور الكائنات من الغيب إلى الشهادة، فهي مفاتيح لأقفال خزائن الغيوب وهي أسماء الأفعال التي كانت المؤثرة في ظهور عالم الغيب إلى عالم الشهادة... وفي هذا الطور يسبح في فلك الأسماء والصفات، كل اسم وصفة على حدته، حتى يعلم مقتضياتها على ما هي عليه في محلها. ومن هذا المنزل يسافر إلى الطور الخامس فيعطى مفاتيح غيب الغيب وهي أمهات الأسماء وأئمة الصفات، فيصرفها بالذات ويتحقق بها صورةً ومعنىً في جميع الأوقات... ومن هذا المنزل يسافر إلى الطور السادس فيستكمل التحقق بالأسماء الذاتية والنوع الصفاتية والأوصاف الفعلية ويتعين في الظهور بها جملةً وتفصيلاً وفي هذا المنزل يتدرع بالهبة ويتوج بالعظمة... ومن هذا المنزل يسافر إلى الطور السابع... وعندها يطلع الفجر وتظهر شمس الكمال من سائر أعضائه الجسمانية على حسب ما كان لروحه وقلبه فيكون جسمه روحًا وقلبه عقلاً بالعين والحكم والوجود جملةً وتفصيلاً... وما بعد هذا المنزل إلا العجز والحيرة في التجليات التي لا نهاية لها، وهذا العجز عين الكمال والقدرة، وهذه الحيرة عين الثبوت. ونهاية ما يعبر به عن هذه الحيرة وهذا العجز بأن يقال إنه يجد كماله الإلهية التي هي له على ما هي عليه من عدم النهاية التي يعجز العلم عن الإحاطة بها من حيث أنها لا نهاية لها. فبالنظر إلى هذا العجز قال عليه الصلاة والسلام: "لا أحصي ثناءً عليك" وبالنظر إلى ما هو من كمال الصفة العلمية له تعالى قال: "أنت كما أثبتت على نفسك" (ص 97-99).

وقال أيضًا: "وأول القربة فهي عبارة عن تمكن الولي قريبًا من تمكن الحق في صفاته و هذا مشاع كما يقال قارب فلانُ العالم فلانًا يعني في العلم والمعرفة... فالقربة هي ظهور العبد في تنوعات الأسماء والصفات بقربٍ من ظهور الحق فيها لأنه يستحيل أن يستوفي عبْدُ صفةً من الصفات، ولكنه إذا انصرف على سبيل التمكين فيها بحيث لا يستعصي عليه شيء مما يطلبه... وغير ذلك فقد قارب الحق، أي صار في جوار الله تعالى، فهذا

القرب هو الجوار. ألا ترى إلى أهل الجنة لما كانوا في نوع من جوار الله تعالى كيف انفعلت لهم الأكوان فما شاءوه كان في الجنة؟ فهذا قرب. وأول حضرات هذا المقام الخلة، وهو أن يتخلل العبد بالحق تعالى فيظهر في جميع أجزاء جسده آثار التخلل بأن تنفعل الأشياء له بلفظة كن، و أن يبريء العلل والأمراض ويأتي بالمخترعات بيده، وأن يكون لرجله المشي في الهواء وأن يقدر على التصور بكل صورة بتمام هيكله، وهذا معنى قوله: "لا يزال عبيد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها" فإذا كان الحق تعالى سمعه وبصره ورجله وباقي جسده كان ذلك العبد خليل الله تعالى، يعني تخللته أنوار الحق تعالى، فهو خليل الله له من مقام الخلة الإبراهيمية نصيب... فكل واحدة من هؤلاء، أعني سمعه وبصره ولسانه ورجله ويده تنفعل الأكوان لها لأنها الله تعالى، فيفعل بيده ويتكلم بيده ويبطش بيده وينظر بيده ويعلم بيده، وكذلك كل جارحة من جوارحه وقوة من قواه يفعل بها جميع ذلك وذلك شاهد الخلة. ألا ترى إلى سيد هذا المقام وهو إبراهيم عليه السلام لما أراد شهود تحقيق ذلك كيف أخذ أربعة من الطير فجعل على كل جبل منهن جزءًا فلما دعاهن بلسانه أتينه سعيًا؟ وذلك شاهد أنه على كل شيء قدير فقد قارب بهذه الآيات إلى حضرة الكبير المتعال. واعلم أن مقام القرية هي الوسيلة، وذلك أن الواصل إليها يصير وسيلة للقلوب إلى السكون إلى التحقق بالحقائق الإلهية... وقلب الولي الواصل إلى مقام القرية وسيلة الأجسام إلى السكون إلى التحقق بالحقائق الإلهية لظهور الآثار، فلا يمكن الولي أن يتحقق جسده بالأمر الإلهية إلا بعد مشاهدته كيفية تحقق ولي من أهل القرية، فيكون ذلك الولي وسيلته في البلوغ إلى درجة التحقق، وكل من الأنبياء والأولياء وسيلتهم محمد صلى الله عليه وسلم... وانتهاء مقام الخليل ابتداء مقام الحبيب، لأن الحبيب الذاتي عبارة عن التعشق الإتحادي فيظهر كل من المتعشقين على صورة الثاني، ويقوم كل منهما مقام الآخر. ألا ترى إلى الجسد والروح لما كان تعشقهما ذاتيًا كيف تتألم الروح لتألم الجسد في الدنيا وتتألم الجسد لتألم الروح في الأخرى ثم يظهر كل منهما في صورة الآخر؟ وإلى هذا أشار سبحانه وتعالى في كتابه العزيز بقوله لمحمد صلى الله عليه وسلم: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله) [سورة الفتح، آية 10] أقام محمدًا صلى الله عليه وسلم مقام نفسه، وكذلك قوله: (من يطع الرسول فقد أطاع الله) [سورة النساء، آية 80] ثم صرح النبي صلى الله عليه وسلم لأبي سعيد الخدري لما رآه في النوم فقال له: يا رسول الله اعذرني فإن محبة الله شغلني عن محبتك" فقال له: "يا مبارك إن محبة الله هي محبتي" فلما كان محمد صلى الله عليه وسلم هناك خليفة عن الله كان الله هنا خليفة عن محمد صلى الله عليه وسلم، والنائب هو الخليفة والخليفة هو النائب.. ومن هنا تفرد محمد صلى الله عليه وسلم بالكمال، فحتم الكمال والمقامات الإلهية باطنًا وشهد له بذلك ختمه لمقام الرسالة ظاهرًا. وآخر مقام المحبة أول مقام الختام، ومقام الختام عبارة عن التحقق بحقيقة ذي الجلال والإكرام إلا في نواذر مما لا يمكن المخلوق أن يصل إلى ذلك، فتكون تلك الأشياء له على سبيل الإجمال وهي في الأصل لله على سبيل التفصيل، فلأجل ذلك لا يزال الكامل يترقى في الأكملية لأن الله تعالى ليس له نهاية، فلا يزال الولي يترقى فيه على حسب ما يذهب به الله في ذاته. ومقام الختام فإنه منسحب على مقامات القرية كلها، لأنه عبارة عن ختم مقامات الأولياء. بمجرد

بلغ الولي مقام القرية يجوز جميع المقامات التي يصل إليها المخلوق في الله تعالى فيختم بوصوله إليها جميع مقامات الخلق... ومقام الختام هو اسم لنهاية مقام القرية ولا سبيل إلى نهايتها لأن الله تعالى لا نهاية له، فمن حصل في مقام القرية فهو ختم الأولياء ووارث النبي في مقام الختام، لأن مقام القرية هو المقام المحمود والوسيلة لذهاب المقرب فيها إلى حيث لا يتقدمه فيها أحد، فيكون هو فردًا في تلك المقامات الإلهية". (الإنسان الكامل، الجزء الثاني، ص 145-148).

### الخلاصة

وكخلاصة لما ذكر، قال الشيخ محمد وفا في كتابه نفائس العرفان: "اعلم أن القطبية على قسمين: قطبية في العلوم الدنية وقطبية في العلوم الدينية، والفرق بينهما أن الأولى علوم تعريفية والأخرى تكليفية وكل واحد ينقسم إلى ثلاثة مراتب: الولاية ثم النبوة ثم الرسالة، وفي اللدنية بالعكس لأن الولي في الديانات من تولى الله بامتثال أوامره ونواهيه وفي اللدنية الولي من تولاه الله إما بالذات "فإذا أحببته كنت هو" أو بالصفات "فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به" أو بالأفعال: "فإن فعل ما شئت مغفورٌ لك" والجمع بينهم كمالٌ لا يدرك".

وقال أيضًا: "الولاية لها ظاهرٌ وباطن، ظاهرها توفيق العبد لأن يتولى الله بامتثال أوامره ونواهيه واتباع مرضاته... فأما الولاية الباطنة فهو بما تولى الله به عبده بذاته وأطلعته عليه من مكنون أسمائه وصفاته وأحضره في حظائر قدس تجلياته فأخذه منه وأفناه عنه وأبقاه به فهو لا هو ولا هو إلا هو وهذه الولاية التي ترقى إليها محمدٌ صلى الله عليه وسلم لما فارقه جبريل عند سدرة المنتهى وكان بها في مقام قاب قوسين أو أدنى، وكانت النبوة من هذا الوجه دون مقام ولايته والرسالة دون مقام نبوته". (نفائس العرفان).

وقال الشيخ عبد الكريم الجيلي في كتابه الإنسان الكامل: "وللإنسان الكامل ثلاث برازخ وبعدها المقام المسمى بالختام: البرزخ الأول: يسمى البداية وهو التحقق بالأسماء و الصفات، البرزخ الثاني يسمى التوسط وهو فلك الرقائق الإنسانية بالحقائق الرحمانية، فإذا استوفى هذا المشهد علم سائر المكتمات واطلع على ما شاء من المعانيات، البرزخ الثالث هو معرفة التنوعات الحكمية في اختراع الأمور القدرية، لا يزال الإنسان تحرق له العادات بما في ملكوت القدرة حتى يصير له خرق العوائد عادة في فلك الحكمة فحينئذ يؤذن له بإبراز القدرة في ظاهر الأكوان. فإذا تمكن من هذا البرزخ حل في المقام المسمى بالختام والموصوف بالجلال والإكرام. و ليس بعد ذلك إلا الكبرياء وهي النهاية التي لا تدرك لها غاية، والناس في هذا المقام مختلفون فكمال وأكمل وفاضل وأفضل". (الجزء الثاني، ص 77-78).

وقال الشيخ مؤيد الدين الجندي في شرح فصوص الحكم: "إن الصورة الإنسانية الكمالية الذاتية الإلهية هي صورة الذات المسماة باسم الله، وتلك الصورة هي التي تستغرق جميع الصور المعنوية الغيبية الأسمائية والعينية

الكونية المتأثرة المظهرية و النسب الإضافية العدمية، فإن العالم بكماله وتمامه صورة تفصيل هذه الصورة الإنسانية الكمالية الجمعية الذاتية". (ص 357).

وقال الشيخ عبد الكريم الجيلي أيضاً: "اعلم أنه (أي الإنسان الكامل) نسخة الحق، كما أخبر صلى الله عليه وسلم: "خلق الله آدم على صورة الرحمن" وفي رواية: "خلق الله آدم على صورته" وذلك أن الله تعالى حي عليم قادر مرید سمیع بصیر متكلم، وكذلك الإنسان حي عليم إله، ثم يقابل الهوية بالهوية والأنية بالانية والذات بالذات والكل بالكل والشمول بالشمول وله مقابلة أخرى يقابل الحق بحقائقه الذاتية... ثم اعلم أن الإنسان الكامل هو الذي يستحق الأسماء الذاتية والصفات الإلهية استحقاق الأصالة والملك بحكم مقتضى الذاتي، فإنه المعبر عن حقيقته بتلك العبارات والمشار إلى لطيفته بتلك الإشارات، ليس لها مستند في الوجود إلا الإنسان الكامل، فمثاله للحق مثال المرأة التي لا يرى صورته إلا فيها، وإلا فلا يمكنه أن يرى صورة نفسه إلا بمرآة الاسم الله فهو مرآته، والإنسان الكامل أيضاً مرآة الحق، فإن الحق تعالى أوجب على نفسه أن لا ترى أسماؤه ولا صفاته إلا في الإنسان الكامل". (الإنسان الكامل، الجزء الثاني، ص 76-77).

و جاء في موسوعة اصطلاحات العلوم الإسلامية: وقال بعض الصوفية: «الإنسان (أو الولي الكامل) هو هذا الكون الجامع».

وقال الشيخ الأكبر في كتاب الفصوص: «إن الإنسان الكامل (أو الولي الكامل) الحقيقي هو البرزخ بين الوجود والإمكان والمرآة الجامعة بين صفات القدم وأحكامه وبين صفات الحدوث، وهو الواسطة بين الحق والخلق وبه وبمرتبته يصل فيض الحق والمدد إلى العالم علواً وسفلاً... كذا في شرح الفصوص للمولوي عبد الرحمن الجامي في الفص الأول...»

وعند الجرجاني: هو . أي الإنسان الكامل . الجامع لجميع العوالم الإلهية والكونية، الكلية الجزئية، وهو كتاب جامع للكتب الإلهية والكونية، من حيث روحه وعقله كتاب عقلي مسمى بأم الكتاب، ومن حيث قلبه كتاب اللوح المحفوظ، ومن حيث نفسه كتاب الحو والإثبات، فهو الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة التي لا يمسه ولا يدرك أسرارها إلا المطهرون من الحجب الظلمانية». انتهى.

وصاحب هذا المقام هو الإنسان الكامل، ويسمى أيضاً عند الصوفية بالحقق الذي لا يحجبه جمعه عن فرقه ولا فرقه عن جمعه، أي لا تحجبه رؤية تجلي الأحدية التي هي مظهر تجلي الذات الصرف عن رؤية الواحدية التي هي مظهر تجلي الكثرة الأسمائية والصفاتية. فهو في الظاهر يشهد الكثرة ليقيم الشريعة، وفي الباطن يشهد الوحدة ليقيم الحقيقة. وصاحب هذا المقام يسمى أيضاً بصاحب مرتبة جمع الجمع.



وقال الشيخ الأكبر في الفصوص عند شرحه للكلمة الآدمية: «فما صحت الخلافة إلا للإنسان الكامل فأنشأ صورته الظاهرة من حقائق العالم وصوره، وأنشأ صورته الباطنة على صورته تعالى ولذلك قال فيه: «كنت سمعه وبصره» ما قال: كنت عينه وأذنه، ففرّق بين الصورتين».

وقال الشيخ قيصري في مقدمته على فصوص الحكم: «ومرتبة الإنسان الكامل عبارة عن جمع جميع المراتب الإلهية من العقول والنفوس الكلية والجزئية ومراتب الطبيعة إلى آخر تنزلات الوجود، ويسمى بالمرتبة العمائية».

وقال الشيخ السرهندي في كتابه «المكتوبات الشريفة»: «اعلم أن الإنسان نسخة جامعة وكل ما هو موجود في جميع الكائنات متفرقاً موجود في الإنسان وحده، ولكن من عالم الإمكان بطريق الحقيقة ومن مرتبة الوجوب بطريق الصورة «إن الله خلق آدم على صورته».

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن الإمام السرهندي في تعريفه هذا قال: «الإنسان» ولم يقل: الإنسان الكامل، وذلك لأن الحقائق الإمكانية والوجودية، أو نقول: الحقائق الخلقية والحقيقية موجودة في كل فرد من أفراد الإنسان بالقوة وإذا تحقّق الإنسان بهذه الحقائق صارت موجودة فيه بالفعل.

فكل فرد من أفراد الإنسان نسخة جامعة وخليفة الله في أرضه من غير تعيين فرد بعينه. والمتحقق منهم بهذه الحقائق يتعين أنه خليفة الله في أرضه ويكون ولياً كاملاً. فكل إنسان مؤهل لبلوغ مرتبة الولاية الكاملة التي يطلق الجليلي على المتحقق بها عبارة «نسخة الحق» أو الإنسان الكامل.

وفي كيفية وصول الإنسان إلى هذه الولاية الكاملة وكتوضيح لما تقدم نقول: قال الشيخ العارف بالله تعالى محمد الهاشمي التلمساني في شرحه على شطرنج العارفين للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي الحاتمي: "فالعبد سائر في كل لحظةٍ ونفسٍ ويمر في طريقه على منازل ومقامات علمها الله بعلمه وتخصيصه بارادته وسيّره عليها بقدرته أحب أم كره. فالسير فيها والمرور عليها قهري اجباري. قال تعالى: (وهو القاهر فوق عباده)[سورة الأنعام آية 61] وقال تعالى: (وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم)[سورة هود آية 56].

"وهذه المقامات منهم من أجملها فجعلها ثلاثة وسماها مقامات بحسب ترقى السالك في طريق العارفين وهي الملك والملكوت والجبروت، ويقابلها بأركان الدين الثلاثة التي هي الإسلام والإيمان والإحسان. فيترقى السالك من الملك إلى الملكوت ثم إلى الجبروت والمحل واحد وهو الوجود الأصلي والفرعي، فما لم يدخل عالم التكوين من عظمة الباري تعالى فهو عالم الجبروت وما دخل التكوين فمن أحقه بأصله وجمعه فهو في حقه ملكوت، ومن فرقه وحجّب به فهو في حقه ملك.

"فتحصّل أن المحلّ واحد والأمر إنما هو اعتباري تختلف التسمية باختلاف النظرة وتختلف النظرة باختلاف الترقى في المعرفة، فمن وقف مع الكون كان في حقه ملكاً، ومن نفذ إلى شهود النور الفائض من الجبروت إلا أنه

رآه كثيفًا نورانيًا ولم يضمه إلى أصله في اللطافة سمي في حقه ملكوتًا، ومن ضمه إلى أصله ولم يفرق بين النور والكثيف سمي جبروتًا انتهى من ايقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة"...

"ومنهم من يعبر عنها بالناسوت واللاهوت والرحموت. فالناسوت عبارة عن حس الأواني ومرجعه إلى الملك، واللاهوت عبارة عن أسرار المعاني ومرجعه إلى الملكوت، والرحموت عبارة عن سريان اللطف والرحمة في جميع الأشياء جلالها وجمالها، ومن ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره.

"ومنهم من جعلها أربعة وسماها عوالم فقال العوالم أربعة: عالم الشهادة وعالم الغيب وعالم الملكوت وعالم الجبروت.

"ومنهم من جعلها سبعة وسماها مراتب فقال: مراتب الوجود سبعة وهي على قسمين : مراتب قديمة ومراتب حادثة. فالمراتب القديمة ثلاثة: مرتبة الأحدية ومرتبة الوحدة ومرتبة الواحدية، والمراتب الحادثة ثلاثة : مرتبة الأرواح المجردة البسيطة ومرتبة الأجسام اللطيفة وهي عالم المثال ومرتبة عالم الأجسام. والمرتبة السابعة وهي المرتبة الجامعة لجميع المراتب المذكورة الجسمانية والنورانية والواحدية والأحدية وهو التحلي الأخير وهي الإنسان المطلق المستعد للنقص والكمال وبه تمت المراتب وكمل العالم وظهر الحق سبحانه بظهوره الأكمل على حسب أسمائه وصفاته فهو أنزل الموجودات مرتبة في الوجود وأعلاها مرتبة في الكمالات.

"وتحسب أنك جرم صغير                      وفيك انطوى العالم الأكبر

"وأن للعالم ثلاثة مواطن باعتبار هذا الوجود الحق سبحانه، أحدها التعين الأول ويسمى فيه شئوًا وثانيها (التعين الثاني) ويسمى فيه أعيانًا ثابتة أي ليست منفية، وثالثهما التعين في الخارج وهو تعين العالم في نفسه وذلك خارج عن تعينه في الوجود الحق تعالى، فإن تعينه في الوجود الحق تعين اعتبار وفرض وتقدير بلا وجود له في نفسه، وتعينه في الخارج هو تعينه في نفسه فيظهر الوجود الحق به بسبب ظهور تعينه في الوجود الحق بنفسه، وهذا المواطن للعالم يسمى حدودًا لظهور تعينه في نفسه فيه مرتبًا بعضه على بعض بتخصيص المشيئة والإرادة، فإن العالم جميعه في حضرة الوجود الحق سبحانه أزلًا وأبدًا متعين أولًا وإجمالًا في مقام ذات الوجود الحق سبحانه، متعينًا ثانيًا تفصيلًا ويقال له الأعيان الثابتة وهذان التعينان للعالم في الوجود الحق لا في نفس العالم. فالعالم في الوجود الحق لا وجود له بل له العدم لأن الوجود ضد العدم كما أن الثبوت ضد النفي وللعالم الثبوت بلا وجود، فالعالم في الوجود الحق هو الأعيان الثابتة وهو قدس في قدس بهذا الاعتبار، ثم إن العالم الثابت في الوجود الحق بلا وجود له ترتيب في نفسه بمقتضى تخصيص المشيئة والإرادة وتقديم وتأخير في بعضه للبعض، فإذا ظهر وتبين متعينًا في نفسه بالوجود الحق يسمى ذلك حدودًا لأنه ظهور ما لم يكن ظاهرًا ويسمى العالم فيه أعيانًا خارجية لظهور تعينها في نفسها في ظهور الوجود الحق متميزًا عنها. وإن أردت زيادة البسط والإيضاح فعليك بكشف الحجب

المسيلة شرح التحفة المرسله للسويدي وبالقول المتين في بيان توحيد العارفين المسمى نخبه المسألة للعارف بالله سيدي عبد الغني النابلسي على التحفة المرسله للشيخ فضل الله الهندي رحمهم الله ورضي عنهم.

"ومنهم من جعلها سبعة وسمها مواطن فقال: المواطن سبعة: مواطن يوم ألت بريكم قالوا بلى، ومواطن الأرحام، وموطن الدنيا، وموطن البرزخ، وموطن الحشر، وموطن الجنة أو النار، وموطن الكتيب...

"ومنهم من جعلها أربعين وسمها مراتب الوجود أيضاً. وهو العارف بالله سيدي عبد الكريم الجيلي المتوفي سنة 899 هجرية قدس الله روحه في رسالة الكهف والرقيم في شرح وفوائد بسم الله الرحمن الرحيم، وهي: 1- الذات الساذج 2- العماء 3- الأحدية 4- الواحدية 5- الألوهة 6- الرحمانية 7- الربوبية 8- العرش 9- القلم الأعلى 10- اللوح المحفوظ 11- الكرسي 12- الهيولى 13- الهباء 14- فلك العناصر 15- الفلك الأطلس 16- فلك البروج 17- فلك زحل 18- فلك المشتري 19- فلك المريخ 20- فلك الشمس 21- فلك الزهرة 22- فلك عطارد 23- فلك القمر 24- فلك الأثير 25- فلك الهواء 26- فلك الماء 27- فلك التراب 28- فلك المولدات 29- فلك الجوهر البسيط 30- فلك العرض اللازم 31- المركبات 32- النباتات 33- الجمادات 34- الحيوانات 35- الإنسان 36- عالم الصور 37- عالم المعاني 38- عالم الحقائق 39- الجنة والنار 40- الكتيب الأبيض.

"ومنهم من جعلها مائة وسمها منازل السائرين الى الله تعالى، يعني بمقتضى الحكم الشرعي المتعلق بأحكام المكلفين في وسعهم وطاقتهم، قال تعالى: { لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت } [سورة البقرة آية 286]. وقد ألف شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي الفقيه الحنبلي المفسر الصوفي المتوفي سنة 481 هجرية في ذلك رسالة ذكر فيها مائة منزلة وسمها "منازل السائرين إلى الحق تعالى" وقسمها على النحو التالي:

"الأول قسم البدايات: اليقظة، التوبة، المحاسبة، الإنابة، التفكير، التذكر، الاعتصام، الفرار، الرياضة، السماع.

"الثاني قسم الأبواب: الحزن، الخوف، الإشفاق، الخشوع، الإحبات، الزهد، الورع، التبتل، الرجاء، الرغبة.

"الثالث قسم المعاملات: الرعاية، المراقبة، الحرمة، الإخلاص، التهذيب، الإستقامة، التوكل، التفويض، الشفقة، التسليم.

"الرابع قسم الأخلاق: الصبر، الرضا، الشكر، الحياء، الصدق، الإيثار، الخلق، التواضع، الفتوة، الانبساط.

"الخامس قسم الأصول: القصد، العزم، الإرادة، الأدب، اليقين، الأنس، الذكر، الفقر، الغنى، المراد.

"السادس قسم الأودية: الإحسان، العلم، الحكمة، البصيرة، الفراسة، التعظيم، الإلهام، السكينة، الطمأنينة، الهمة.

"السابع قسم الأحوال: المحبة، الغيرة، الشوق، القلق، العطش، الوجد، الدهش، الميमान، البرق، الذوق.

"الثامن قسم الولايات: اللحظ، الوقت، الصفاء، السرور، السر، النفس، الغربة، الغرق، الغيبة، التمكن.

"التاسع قسم الحقائق: المكاشفة، المشاهدة، المعاينة، الحياة، القبض، البسط، السكر، الصحو، الاتصال،

الانفصال.

"العاشر قسم النهايات: المعرفة، الفناء، البقاء، التحقيق، التلبس، الوجود، التجريد، التفريد، الجمع،

التوحيد...

"ومنهم من أبلغها الى ألف مقام، قال أبو بكر الكتاني: إن بين الحق والعبد ألف مقام من نور ظلمة. ومنهم من أبلغها إلى سبعين ألف مقام وسماها حجبًا، ومنهم من أوصلها إلى مئة ألف مقام. قال الإمام الشعراي رضي الله عنه في المنن الكبرى: وأمها تمائة ألف مقام وخاصتها ألف مقام."

وفي ختام بحثنا هذا نقول إن الولاية الإلهية في الدين الإسلامي الكامل الجامع لما تقدمه من شرائع سماوية ناسوتية مادية ولاهوتية معنوية هي عامة في كل انسان لكونه تعالى خلقه في أحسن تقويم بيدي الجلال والجمال على صورته الكمالية الرحمانية واختصه من بين مخلوقاته بسائر شئونه الحقية وكلماته الخلقية، وكان الدين الإسلامي بأركانه الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان، الشريعة والطريقة والحقيقة، العبادة والعبودية والعبودية، المقابلة لعوالم الملك والملكوت والجبروت الوجودية الإطلاقيه والمقابلة لعوالم النفس والقلب والروح البشرية التقييدية هو وسيلة الإنسان لتحقيق هذه الكمالات المودعة فيه، فإذا تم له ذلك كان ولي الله المخصوص بقربه وكمال محبته وبوراثة حقائق أنبيائه ورسله مرادًا بقوله: {إني جاعل في الأرض خليفة}، نسأل الله أن يجعلنا من خصوص أوليائه وأن يحققنا بما أودع فينا من كمالاته وليس ذلك على الله بعزيز، والحمد لله رب العالمين.